

المشير طنطاوى.. وشعب بورسعيد



لواء د. سمير فرج



26 يونيو 2018

أقلعت الطائرة من قاعدة ألماتة العسكرية، حاملة على متنها سيادة المشير محمد حسين طنطاوي، ومعه بعض قادة القوات المسلحة المصرية، في طريقها إلى مطار الجميل ببورسعيد، لافتتاح أحدث النوادي، على شاطئ منطقة الجميل، في بورسعيد. وما إن استقرت الطائرة في الجو، وهذأت أصوات محركاتها، حتى بادرنى سيادة المشير بسؤاله، بورسعيد هتكون مبسوطه بالنادى الجديد اللى أنت عملته، يا سمير، خصوصاً أنها مسقط رأسك؟... فأجبتة، بلا تردد، طبعاً يا أفندم ... النادى ده هيخدم المدنيين، من شعب بورسعيد، قبل العسكريين... فمازحنى ضاحكاً، أنا شفت الصور، وواضح منها إنك متوصى بأهلك جداً .. على العموم أنا بحب شعب بورسعيد، وبحب فيهم وطنيتهم، وحبهم لمصر ... خاصة بعدما اقتريت منهم خلال خدمتى كقائد للجيش الثانى الميداني. ثم أضاف سيادته، بأن له مع أهل بورسعيد، قصة لا ينساها أبداً، وقصها علينا، وكلى شغف فى الاستماع إلى تفاصيلها. فحكى سيادته، أنه فى أثناء حرب 67، وخلال انسحابه ومجموعة من الضباط، دونما خطة انسحاب واضحة، للأسف، وصلوا إلى بورسعيد فى فجر يوم 8 يونيو، بعد مسيرة عدة أيام. ونظراً لحالة الحرب التى تعيشها البلاد، خاصة فى منطقة القناة، فقد كانت جميع أضواء المدينة مطفأة. وحيث إن رحلتهم إلى بورسعيد كانت بلا مؤن، فقد كانوا جميعاً يتضورون جوعاً، فبحثوا عن مأوى لهم، يجدون فيه ما يقتاتون عليه، حتى وجدوا محلاً صغيراً للكباب، مفتوح الأبواب، وإضاءته خافتة للغاية.

يقول سيادة المشير، أن حلاوة مذاق تلك الوجبة لم يفارقه يوماً، منذ ذلك الحين، فقد كان أول طعام يدخل جوفهم منذ أربعة أيام. وعندما فرغوا من الطعام، طلبوا الحساب، فثار صاحب المحل ثورة عارمة، واعتبر ما طلبه الضباط، إهانة بالغة.. فكيف له أن يأخذ مقابل ما

ممن يبذلون أرواحهم دفاعاً عن أرضه وعرضه! . وأضاف صاحب المحل، أنه ممن حاربوا، ضمن صفوف المقاومة الشعبية، التي سلكها الرئيس عبد الناصر، إبان العدوان الثلاثي على مصر، عام 1956. وأنه من الموجة الأولى، من أبناء بورسعيد، الذين جروا باتجاه مطار الجميل، وتصدوا لأول مظلة إنجليزية، هبطت فيه، وأجهزوا على القوة الإنجليزية بكاملها ... مؤكداً أن شعب بورسعيد رجالة. يقول المشير، إنه أمام حماس هذا الرجل، ووطنيته، لم يستطع هو، أو من معه، أن ينطقوا بكلمة واحدة، أو أن يعارضوه فيما يقوله. وهبطت الطائرة العسكرية في مطار الجميل، وتوجهنا مباشرة إلى النادي الجديد، الذي تم افتتاحه وسط وجود شعبي، غير مسبوق، من أهالي بورسعيد، الذين توافدوا بجميع طوائفه، للترحيب بالمشير طنطاوي، ومرافقيه من قادة القوات المسلحة، بحرارة وحب واضح. وفجأة جذبني المشير طنطاوي، وهمس في أذني، قائلاً: سمير.. أنا عاوز أروح أشوف الرجل صاحب محل الكباب، فأجبته: فين يا أفندم.. بورسعيد مدينة كبيرة.. سيادتكم تعرف عنوانه؟، فقال إن كل ما يتذكره، هو وجود محله في منطقة بواكي الشهيرة، ويقابله على الجهة الأخرى دار سينما. ويتجمع تلك المعلومات، مضافاً إليها، ما حكاه الرجل للمشير، من قبل، بأنه قطع المسافة إلى مطار الجميل، جرياً، لقتال الإنجليز، توصلت إلى أن محل الكباب يقع، في الأغلب، في حي العرب، وتحديداً في عمارات البواكي، الواقعة أمام سينما مصر. فقلت لسيادة المشير، والله ممكن.

وما إن انتهى الاحتفال، حتى انطلقت مع المشير طنطاوي في سيارة واحدة، دون حراسة، إلى حي العرب ... وفيما يشبه المعجزة، توصلنا إلى محل الكباب، فمعالم المنطقة تغيرت عبر السنين. ودخلنا المحل، فوجدنا اثنين من الشباب جالسين فيه، عرفنا منهما أنهما أبناء صاحب محل الكباب، وبسؤالهما عن إمكانية رؤيته، رحبا بذلك، وتوجه أحدهما لإبلاغه برغبتنا في لقائه. وبعد عشر دقائق، وصل الحاج، وبصمات الزمن قد علت ملامحه، وأثرت على قدرته على الحركة، فتقدم إليه المشير طنطاوي، وسأله:، عارفني يا حاج؟، فأجابه قائلاً، أيوه طبعاً ... بشوفك في التلفزيون، فضحك المشير طنطاوي، وقال له: مش قصدي ... أنا الطابيط اللي جيت لك، مع زملائي، أيام حرب 67، وأكلنا عندك بالليل، ولم تتقاض أجر معروفك لنا، فانتبه الرجل إلى ما يقوله المشير، ورد عليه: أوعى تكون زعلان إن اللحمة كانت قليلة ...

والله دى كانت كل الكمية الموجودة فى الثلاجة. فابتسم المشير، لذاكرة الرجل، ودعابته اللطيفة، وقال له إنه لم يتناول وجبة ألد من تلك الوجبة، فى تلك الليلة. نظر المشير حوله، وعبر عن تعجبه من محافظة الرجل على نشاطه، بالرغم مما طرأ على المدينة من تطورات، فأفاد الرجل بأن أولاده يرغبون فى تحويل المحل إلى بوتيك، بما يتناسب مع طبيعة المدينة الحرة، إلا أنه رفض ذلك مادام على قيد الحياة، تاركاً لهم حرية القرار بعد مماته.

وخلال رحلة العودة فى الطائرة، لم ينطق المشير بكلمة، على عكس ما اعتدنا عليه من سيادته، حتى أن جميع القادة المرافقين فى الرحلة، ظلوا يسألوننى عما حدث، وأين توجهت مع سيادته، وهل لذلك علاقة بصمته؟ وعند وصولنا إلى القاهرة، وقبل مغادرة قاعدة ألامطة، أخذنى سيادة المشير جانباً، وقال لي: «عاوزك الأسبوع الجاى تشرف على تطوير المحل، من حسابى الخاص، وتجديده، ومحتوياته وأجهزته، تجديداً شاملاً، وحاول مع أولاده ألا يعرف الأب بأننى وراء ذلك». وقبل أن أشرع فى تنفيذ توجيهات سيادته، تلقينا خبر وفاة الرجل، فحزن المشير حزناً شديداً لهذا الخبر، ورتبنا لمشاركة سيادته فى الجنازة، وفقاً لتعليماته، لولا أن التزاماً، منعه من مغادرة القاهرة، فى ذلك اليوم. فذهبت، ومعى عدد من القادة، نيابة عن سيادته، إلى بورسعيد للمشاركة فى تشييع جثمان هذا الرجل الوطني، وحضور العزاء. ومازال السيد المشير فى كل لقاء يجمعنى بسيادته، يقول لي: شعب بورسعيد ده جدع يا سمير.

ملحوظة: حصلت على موافقة من سيادة المشير محمد حسين طنطاوي، على نشر تلك الواقعة، بعد مناقشات طويلة مع سيادته، لإقناعه، خاصة أن سيادته قد اعتزل الحياة السياسية العامة، ويستمتع بأيامه مع أولاده وأحفاده، الشئ الذى افتقده طوال مدة خدمة سيادته للوطن.

Email: sfarag.media@outlook.com